المصالحة والقسر أو نهجان للتعامل مع الآخر الغير(وي)
الاتصال والتأويل

صابر العادلي

جامعة بودابست

شهد العقد الأخير من قرننا هذا ذيوع ممارستين تنتميان إلى مجالي السحر الشعبي: الرضوة، والديني الرسمي، إخراج الجن، هذا وتتفق الممارستان من حيث غايتيهما، ألا وهي استعادة اتساق الحياة وانتظامها إثر انتكاس وقع بفعل كائنات غير منظورة - شبيهة الانسان - لا تألوا جهدا في إلحاق الأذى بين البشر لسبب أو دونما سبب حبا أو غيرة، ثأرا أو حقدا وبهذا فإن الممارستين لا تختلفان في تأويل الأعراض تأويلا قائما على استقراء لمعارف تليدة وزائفة بمعايير العلم ولكنهما تتباعدان في مساحة التأويل ذاته (التعميم والاختصاص). وتختلفان في نهج الاتصال بالغير(وي) المثيل الخفي - الروحاني - الجني: وتختلفان بالضرورة في لغة الخطاب وشفرته ورموزه، وكذا في طبيعة الوسيط شيخا كان (رجل الدين) أم عرافا (منجم، ساحر)، ذكرا أم أنثى بالغا الحلم من عدمه خصبا أم انقطعت خصوبته. ومصدر الاختلاف هو المنطلقات التنظيرية لكل من الممارستين، والقائمة على مفاهيم امبريقية ترجع إلى آلاف السنين ولم يطرأ عليها تطور يذكر، وانما اعتراها من حين إلى حين - تحور ظاهرى لتصبح وصفة لكل زمان، وذلك بفعل تراكمات حضارية ثقافية دينية مقعده فرعونية محلية ووافدة مع كل من جاء إلى مصر ومعه ريـّاح التغيير التي لم تلبث وإن سكنت في العمق التاريخي للوادي.

إن هذه المعارف قد سعت وقتها - كما هو الحال اليوم - إلى تفسير العالم قصد التأثير فيه - أو على الأقل تحييد القوى المزعوم دورها عند وقوع الفشل: الترضية والمصالحة. اما النهج الثاني فهو قهر هذا القوى واخراجها عنوة، أي القسر. وتكشف الممارستين. بالأصح تعكسان بجلاء أنساقا من التوجهات والسلوكيات غيبية النزعة قائمة على تأويلات فاشلة لعلاقات جدلية مستديمة بين الثلاثي العضوي الارتباط:

الفرد ⟷ الجماعة ⟷ البيئة

تلك العلاقة التي إذا ما أصبح الفرد فيها طرفا سلبيا - مفعولا به - حسب الاصطلاح اللغوي - طغى عليه الاضطراب ويبيت ضحية عصابية فاشلة في الاضطلاع بالدور "المسند إليه" (لغة). من قبل الجماعة قسرا أو اختيارا ويجب ألا ننسى: إننا لا نستطيع تغيير (قوانين) الوجود وأقصى ما نستطيعه هو التعديل من سلوكنا (التكيف).

ولقد حدا بنا إلى توصيف الممارستين التوصيف بذاته لأهميته زمانا ومكانا، وللمعلومية، وربطنا بينها باعتبارهما مظهرا لعقيدة واحدة تحظى بعمق الإيمان الديني ليس في مصر وحدها بل في كل العالم الإسلامي: عمـّار، عفاريت، جن وأرواح[1].

إن طرحنا هنا قائم على ان استلاب المعرفة = تأويل فاشل. وغياب المعرفي يفضى إلى النقوص إلى الغيبي السلفي. والأدهى ان الرضوة والقسر هما منهجان أساسيان على مستوى الاتصال الاجتماعي إلى جانب مناهج أخرى بدرجة أقل أهمية: الاتكالية (عشوائي - ارتجالي)، المعليهشية (اللا مسئولية الكريهة)، التسويفية (تعالى بكرة).

---

[1] إن أفضل توصيف لعقيدة العمار والجن والشياطين وجذورها الدينية، سر حيوتها، هو ما أورده الجاحظ في كتابه: الحيوان. وكل ما كتب بعده تزيد لا طائل من ورائه، ولقد أوردناه بحرفيته في موضعه لعظيم أهميته.

THE ARABIST. BUDAPEST STUDIES IN ARABIC 21–22 (1999)
https://doi.org/10.58513/ARABIST.1999.21-22.15

وفي طرحنا هذا نلتمس خطورة عنصري الزمان والمكان في حالتنا وإلى أي حد تعبر الجماعة - العصابية - هذه المتوسلة بالرضوة أو الساعية لإخراج الحني من أجسادها - عن الفئات الاجتماعية الأخرى. وهل تشكل هذه الجماعة تيارا معزولا أم انها وبحكم استلابها معرفيا - بحكم وضعها الاجتماعي - تشكل بارومترا لما يعتور المجتمع من تغييرات سلبية، بلغ من جسامة تأثيرها انبعاج الفرد حتى ليبحث عن تسوية ما. كما ان الممارستين تتضمنان العديد من التناظرات الباعثة على الدهشة سنعرض لها.

وإننا لنستمحي القارئ عذرا إذا ما رأى إننا نستبق بالنتائج المعطيات ولعلنا بعائدين إلى منطق تسلسل الطروحات.

الرضوة (المصالحة) عزومة.

المكان - مدينة القصر

أهم بلدان الواحات الداخلة، وآخر عمران رئيسي مصاقب للصحراء الليبية وبعدها لا يصادف المرأ إلا بعض التشرذمات السكانية الفقيرة هنا وهناك.

ومركز المدينة القديمة هو - بكل المعايير ومع الفارق - متحف (اشكنزان) فريد تماما، فلقد أضطر السكان إلى هجران مدينتهم، ديارهم القديمة بسبب تداعيها، مخلفين ديارا ذات واجهات بالغة الأصالة ذات عتبات عليا خشبية منقوشة ومنحوتة تحمل تواريخ تشييد واسماء عوائل وبنائين (معلمين) ووحدات نجمية وهي بذاتها مادة تاريخية عظيمة، ولقد أصبحت المدينة مقصدا لأناس مختلفي المشارب باحثوا انتيكات وناهبوها من كل جنس.

ولقد كانت المدينة محطة وصول لمهاجرين عرب من القرن السادس عشر تأثروا بثقافة تركية. ويتباهى الكثير من السكان بأصول عربية شريفة. وتعايش مصريين وبربر. وتوزع أصحاب الحرف من حدادين وفخارين ونساجين حول المدينة القديمة ليصلح موضوعا لابحاث جليلة النفع - وما زال القيام بها ممكنا إلى أجل قصير. وفضلا عن ملامح لغوية - بالغة الفائدة - فإن قدرا لا بأس به من السكان يقلب اللام نونا: كلب ← كنب. وأظن ذلك قد يساعد في توصيف اثنى للسكان.

الرضوة

الحالة النمطية

المكابدة: بدأ الانتكاس بفقد سيدة في الثلاثين، زوجة وأم، لأبيها وأمها وزوجة أخيها في حادث سيارة. وبدأ العصاب في شكل صداع دائم وخطرفة، هذيان، هلوسة، واعياء دائم وقرفان وغثيان، إمساك وإسهال، ونزيف -ولما بدا أن الأمور تسوء، وبناء على نصيحة الأقارب والجيران توجهت العصابية إلى "أم أحمد" آمنة السيد - امرأة في الستينات خبيرة بالتأويل والاتصال.

التأويل:

لم يكن فقدان المرأة المأساوي لوالديها فضلا عن زوجة أخيها هو العلة الحقيقية لآلامها الفظيعة. فلقد تبين لأم أحمد - إن واقعة (تافهة) تحدث لنا جميعا هي سر المكابدة، إذ حدث أثناء تشييع السيدة لجنازة أبيها أن انكفأت على وجهها لتسقط على واحد من العمار الذين تصادف وجودهم في الجنازة أو حضرها طوعا ويبدو وكأنه قد استاء أعظم الاستياء من انكفاء المسكينة عليه ودون أن تستمحيه العذر، فراح يكيل لها الكيل ويكيد كيدا.

الاتصال:

بما إن العمار على شاكلتنا - نحن البشر - وهم بالملايين فلقد ارتأت سيدة التأويل والاتصال القيام بترضية العمار كافة - وهكذا فإنه من حكم المؤكد أن الموتور من العمار سيلقى نصيبه وتطيب عينه ويهدأ خاطره.

الفعل:

الرضوة. المائدة. عزومة!

عند العصر - بحضورنا - قامت "سيدة الاتصال والتأويل" بالوضوء على عجل ودون كبير تدقيق. ثم انتصبت الصينية فوق طبلية كانت متوارية في الفناء الداخلي للدار. وحيث كانت زكائب الغلال تستند على جدران الدار المشيدة من اللبن. ذلك ان المؤولة كانت تكسب قوتها من الأتجار بالغلال. بدت الصينية وقد احتشد عليها ثلاثة ارغفة، قطعة من الجبن القديم، طاجن بطاطس، طبق من الباذنجان المطبوخ، حزمتين من البصل الأخضر والفجل، كما ازدانت الصينية بالسكويت والتمر والعجوة والحلاوة الطحينية. حتى لوازم الكيف: ورقة معسل، علبة سجائر، علبة كبريت. وخلت الصينية من اللحم تماما. وكان هناك كوز نحاس للشرب وقد كانت صاحبة الحاجة قد ارسلت بالأطعمة التي ذكرناها مع ثوب من أثوابها خلعته لفورها. كما ولا تتردد أم أحمد الوسيط في إثراء الصينية بما تراه ضروريا، أو متوفرا من خير دارها.

إن الصينية بشكلها هذا يجب إن تذكرنا "بموائد القاربين" من مصر الفرعونية، والتي استمرت حتى يومنا هذا في حفلات السبوع خاصة[٢]. وكانت تقدم ترضية لملائكة حارسة للوليد تغادره في اليوم السابع من مولده. الغربال هو آخر تحوراتها.

السيراج:

بعد إن تنتصب الصينية عامرة تعمد "الوسيط" إلى جلباب "صاحبة الحاجة" العصابية، فتضعه على فخذيها وهي في وضع التشهد - مذكرة بوضع الكاهن - ثم تبدأ بمهارة المدرب الخبير في تشكيل سراج من دقيق القمح بعجنة بالماء. ولا يتجاوز حجمه - بحكم الضرورة - قبضة اليد وتنتهي من ذلك في لمح البصر ويكتمل هذا بفتيل من الصوف عادة ثم يصب فيه شيئ من زيت الزيتون أو يوضع فيه قطعة من ليه خروف، ثم يشعل ويتوسط الصينية التي تكون به قد اكتملت.

دعوة العمار: الاتصال... لغة الخطاب. شفرتة.

بعد اشعال السراج تبدأ الوسيط في دعوة العمار إلى وليمتها - الرضوة - "يا مرة الخفير"، "يا مرة العمدة"، "يا مرة القاضي"، "يا مرة الحكيم"، "يا مرة الحداد"، "يا مرة التاجر" (تقصد امرأة كل من المذكورين بمعنى زوجته). ثم تنثني بدعوة العمدة والخفير والحداد (الأزواج). ويبدو إن هناك نظام سلطوي هرمي معكوس نسوي أولا ثم ذكوري ليفسر بنوية "العمار" - الآخر وهذه النقطة بحاجة إلى مزيد من المتابعة قصد استجلاء هذا التصور، ولا نظن أن الوسيط هو العامل الحاسم فإنها انما تلوك موروثها فحسب وغير واعية بكنهه.

وعن السراج أيضا

وتلح الأطراف المشاركة في "الرضوة" على ضرورة إن يكون الدقيقي المصنوع منه السراج من عادم الطواحين ولا يؤخذ قط من مخلاة. وأن يكون من غلة تاجر مطفف جشع. وبالنسبة للشرط الأول نسوق التبرير التالي: إن كل ما يسقط على الأرض وليصعب التقاطه من جديد هو "رزق الأرض" أي العمار الساكنين في بطنها (تحت الأرض) - وبالنسبة للشرط الثاني فإنه لا ليسعنا الا الافتراض بانه الانتقام من الظالمين بحرق غلتهم (التضامن الاجتماعي). الظاهر إن السراج نبع من ممارسة "الرضوة" في حاله الحسد فهو عوض عن النار التي يحرق فيها حجر الشب. كما ان السراج بات يستخدم ضد العين في هذه المنطقة على الأقل. ذلك انه يوضع على رأس المحسود اثناء "رقيته" وبعدها يحمل إلى أول تقاطع ليرمي إلى "كلب أسود ضال" ليأكله. سحر تعاطفي - ويسير به حامله بظهره - المقلوبية - اذ تنقل العين إلى الكلب بواسط السراج واحيانا يؤخذ السراج إلى الجبانة، ويترك مشتعلا هناك. في مقبره شيخ - واحتمال ان يكون لذلك صلة بالاستخدام الواسع في كل مصر والعالم لنذر الشموع - وشباك ضريح سيدي نصر الدين في أول

---

[٢] راجع شوقي عبد القوي ١٩٩٤. والمعلومة * جدا عن الملائكة تحيط بالوليد حتى اليوم السابع. ملاحظة رقم ٢٨.
El-Adly 1981: 48, Kriss & Kriss 1962: 25.

شارع الهرم لا يخلو قط من شموع النذور المحترقة وغيره بالآلاف من السيدة زينب إلى سيدنا الحسين وذكرنا نصر الدين لان صيتة بدأ في الذيوع على اعتبار من عدم تخصصه فهو يشفع لمريده في كل الحالات.

وتوجه "الوسيط" الدعوة إلى العمار هؤلاء وهي لا تعدم التلطف المنافق المتسائل: "عملنا فيكم ايه؟ ذنبنا ايه؟ سامحونا والنبي ثم عينت وسائل الوصول: الحمير والجمال ثم العربات والقطار والتاكسي! ايضا. واخيرا سألتهم المجئ بالطائرة!! واقصى الأماكن بعدا كانت اسيوط والمنيا، ولم تذكر مناطق قريبة مثل تنيده وبلاط ولا حتى الخارجة: (الشيخ البعيد سره باتع). لقد كانت تقوم بمهمتها ببساطة وكأنها تتحدث عن طلوع الشمس وآخر الأخبار.

وكان المساء قد حل بالغروب فقامت بحمل الصينية رافعة إياها بيدها وفي مواجهة عينها. وصعدت إلى سطح الدار. ودفعت بكتفها الأيسر باب "مندرة" وهي داخلة - وحدها - ثم ما لبث أن خرجت وقد وضعت مائدتها على حصيرة في الداخل. وظلت صامتة وقد أغلقت الباب من ورائها، وعندما نزلت بدأت الحديث وكان شيئا لم يحدث.

التوديع: انصراف العمار

بعد صلاة العشاء صعدت إلى المندرة ودلفت بهدوء وقد قرأت السلام: تفضلوا روحوا بالسلامة كل واحد على بلده. وصرفت جبرايل أيضا، وإن لم تكن قد دعته. وغنى عن البيان إن الصينية كانت عشاء عائلة الوسيط في هذا المساء. في الصباح أعيد الثوب إلى صاحبته. وأمل الجميع في الشفاء بعد المصالحة المتوجة بالوليمة. عند فشل الممارسة في تحقيق أهدافها فإن أسبابا جاهزة تقدم للتبرير Hammond 1975: 269-70.

هذا وتتكرر الرضوة "العزومة" إذا بقت الأعراض العصابية على حالها وإذا ساءت الأمور شد الناس رحالهم إلى القاهرة تحديدا إلى مسجد عمر بن الخطاب.

مكابدة الرجال:

على غير بعيد من مسرح الرضوة. بعد العشاء وفي بيت خال تقريبا من دلالات الفقر، اجتمع شمل رجال متعلمين وأشباه متعلمين وغير متعلمين من سكان القصر، ولم تكن الملامح البربرية غائبة تماما. وخاصة على سيماء مضيفنا. وكان ولداه الفتيان يدخلان من حين لآخر بالشاي والفول السوداني وما أشبه. ودار الحديث عن الرضوة وابتسم الجميع وكأنها أمور نسائية أو تعني الأطفال أيضا. ورويدا رويدا بدأت الأمور تتضح. فلقد قابلنا هنا تأويلا نظيرا، لمكابدة (رجولية) فبعد عامين من زواج مضيفيا بدأت المتاعب تلاحقه. قضية مع الحكومة متاعب في أمور العيش شجار مع الزوجة واهلها عدم توفيق الأولاد في دراستهم ووهن بدا يحل به (كان بادي الترهل). والقضية أن امرأة من "العمار" قد شغفت به. وبدأت المطاردة الأليمة كلما هم بمواقعة زوجة فعلى التو كانت الأخرى "العمار" تنشق عنها الأرض وتطل من الحائط وسقف الدار.فتلهيه عن امرأته (كان الحضور وكأنهم يحسدونه بالأصح يغبطونه وكأنه كان مختارا، رغم مكابدته). ونصحه الناصحون بالتوجه إلى القاهرة إلى مسجد عمر بن الخطاب وقد كان.

ولسنا نعرف توصيفا لعقيدة العمار وما شابههم أصدق وأشمل ويرتكز على دعائم دينية، كتوصيف الجاحظ الأريب، والذي وضع رأيه على لسان رواته حتى لا يلقي مصير الحلاج. وإليكم ما كتبه الجاحظ (الحيوان ٤٢١ وما بعدها):

"وهم يتأولون قوله تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ [٣] وقوله عز وجل: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [٤]، فلو كان الجان لم يصب فيهن قط، ولم يأتهن، ولا كان ذلك مما يجوز بين

---

[٣] من الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

[٤] الآية ٧٤ وآخر الآية ٥٦ من سورة الرحمن.

الجن وبين النساء الآداميات، لم يقل ذلك. وتأويل قوله: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ [٥]، فجعل منهن النساء إذ جعل منهم الرجال، وقوله: ﴿أتتخذوه وذريته﴾.

وزعم ابن الأعرابي قال: دعا أعرابي ربه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عفاريت الجن، اللهم لا تشركهم في ولدي، ولا في جسدي، ولا دمي، ولا مالي، ولا تدخلهم بيتي ولا تجعلهم لي شركاء في أمر الدنيا والآخرة. قالوا: ودعا زهير بن هنيد، فقال: اللهم لا تسلطهم على نطفي، ولا على جسدي. قال أبو عبيدة: فقيل له: لم تدعو بهذا الدعاء؟ قال: فكيف لا أدعو به، وأنا أسمع أيوب النبي، والله تعالى يخبر عنه، ويقول: ﴿وأذكر عبدنا أيوب نادي ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ [٦]. حتى قيل له: ﴿أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [٧]، وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله يقول: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [٨]، وأسمعه يقول: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون﴾ [٩] وقد جاءكم في صورة الشيخ النجدي، وكيف لا أستعيذ بالله منه، وأنا أسمع الله يقول: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فأتبعه شياب مبين﴾ [١٠] وكيف لا أستعيذ بالله منه، وأنا أسمع الله يقول: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ [١١]، ثم قال: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾ [١٢]، وكيف لا أستعيذ بالله منه، وأنا أسمع الله يقول: ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوى أمين﴾ [١٣]، وكيف لا أستعيذ بالله منه، وأنا أسمع الله يقول: ﴿رب أغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب. فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ [١٤]. والأعراب يتزيدون في هذا الباب، وأشباه الأعراب يغلطون فيه، وبعض أصحاب التأويل يجوز فيه ما لا يجوز، وقد قلنا في كتاب النبوات بما هو كاف إن شاء الله تعالى. وسيقع في هذا الباب الجواب فيه تاما إذا صرنا إلى القول في الملائكة، وفي فرق ما بين الجن والإنس. وأما هذا الموضع فإنما مغزانا فيه الإخبار عن مذاهب الأعراب، وشعراء العرب. ولولا العلم بالكلام، وبما يجوز مما لا يجوز، لكان في دون إطباقهم على هذه الأحاديث، ما يغلط فيه العاقل."

مكابدة الرجال:

التأويل - الجمعي. الحالة الراهنة

---

[٥] أول الآية ٧ من سورة الجن.

[٦] الآية ٤١ من سورة ص.

[٧] الآية ٤٢ من ص.

[٨] أول الآية ٢٧ من سورة البقرة.

[٩] أول الآية ٤٨ من سورة الأنفال.

[١٠] الآيات ١٨،١٧،١٢ من سورة الحجر.

[١١] أول الآية ١٢ من سورة سبأ.

[١٢] أول الآية ١٣ من سورة سبأ.

[١٣] الآية ٣٩ من سورة النمل.

[١٤] الآيات ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨ من سورة طه.

إن امرأة العمار العاشقة والغيورة والتواقة إلى الاستئثار برجلها (الأدمي) لم تألوا جهدا في تنغيص عيشه (الحيلولة بينه وبين امرأته - العجز الجنسي). هو معوق فحسب وليس عنينا. وهو يتوق إليها - ولكنها - مدفوعة بغيرتها - تراوغه فكلما بدا وكأنه على قاب قوسين أو أدنى من وصالها ابتلعتها الأرض! وهي تفسد علاقة الرجل بأهله والناس والسلطة غيرة وتعاقبه مدفوعة بغيرها.

الموقف:

اللجوء إلى القسر - قهر الآخر

المكان:

يلعب رقم ١٠٠٠ دورا هما في العقلية العربية بعامة، ألف ليلة وليلة وفي مصر عرفنا ألفية القاهرة، ثم الألف كتاب الأولى، والثانية وبدون استفاضة - فهذا موضوع آخر - ظهر ما يسمى الألف مسجد ويحمل واحد منها اسم عمر بن الخطاب، وقد تحول هذا بعد بنائه بقليل مقرا لممارسة علاجية (سحرية)، تقوم على "إخراج الجني" الساكن في الأدمي مسببا مكابدة عجز الطب عن علاجها. كما وقد بينا.

الممارسة. الفعل.

بعد الفراغ من صلاة العصر كل يوم أربعاء ينصرف المصلون (الأصحاء) من المسجد إياه. ويتخلف طالبو الشفاء من رجال ونساء كل في رواق منفصل. ثم لا يلبث أن يظهر شيخ وهو ليس أبدا إمام المسجد. ويستفسر عن علة كل (عصابي) وبعميق خبرته وحدة بصيرته وبانكشاف المستور أمامه يقرر وان كان أن كانت العصابي، العصابية أهل للممارسة (السحرية) العلاجية. ذلك أنه إذا ارتأى أن معاناة المريض عضوية صرفه إلى الطب. وأما هؤلاء الممسوسين (مسهم عفريت أو جن) والمركوبين (راكبه عفريت) وانظروا عبارة اللعن الذائعة (جاك عفريت يركبك) ليجيء عفريت ليركبك. وكل هؤلاء الذين يبدوا أنهم قد عجزوا عن التكيف، والمحرومين من دور اجتماعي، وغير المشبعين عاطفيا وجسديا فهؤلاء تصرف لهم تذكرة علاج يعاودون بها الحضور إلى جلسات الأربعاء هذه بعد صلاة العصر. ولما كان هناك طابور من راغبي العلاج فإن حشد الوافدين من الأقاليم تصرف لهم تذاكر فورية وليس عليهم الأنتظار.

التأويل:

إن التأويل يقوم على الزعم بحلول العمار ىالعفاريت والجن جسديا (مركوب) أو روحيا (ممسوس) بفعل - الغيروي - الأخر - المثيلي الشبيه بالانسان ولكن في الأغلب خفى والذي يظهر أحيانا - (غوله شعرها كذا وكذا النداهة. المتربصة بالرجال والنساء المنفردة وائدة على الشاطئ وفي الفلوات والصحاري في المناطق الأخرى. والتي تهرب لو صاح ديك، أو أذن لصلاة الفجر، أو التقى الأدمي بآخر وتوجه الأخير إليه بالحديث - وفي كل الحالات التي عرفتها فإن الضحايا كانوا يمرون اذ ذاك بازمات حادة (الفقد بالغياب وبالموت، وبالاقدار القاسية، المصائب والكوارث ... الخ.)[١٥]

الفعل:

على عكس الرضوة التي تقوم على مبدأ مصالحة الأخر (نفاقة، رشوته، أكل العيش والملح. الظهور بمظهر المستضعف امامه) وأصدق تعبير عنه عندما تسوي النسوة خلافاتها العائلية بتقديم (كعك الطلعة) لبعضهن البعض. والذي بمجرد القبول به تعود المياه إلى مجاريها فورا. وكأنها شيئا

---

[١٥] عن الغولة والنداهة وغيره انظر: العادلي ١٩٩٤. وثمة تناول أدبي لـ"النداهة" في مجموعة قصصية للكاتب الكبير يوسف إدريس تحمل نفس الاسم. وانظر حواس والعادلي ١٩٧٠ خاصة عن مفهوم "المخاوي".

لم يحدث[١٦] وينعكس هذا السلوك الاجتماعي أيضا في عادة تقديم "الطعام الاحتفالي" للأقارب والجيران.

وهناك التقاليد البدوية العتيدة في إقراء الضيف، كما انه من الاعراف المقبولة تماما تقديم الفلاحين الهدايا من بط وأوز ودواجن وفواكه لهؤلاء الذين يرجون مساعدتهم من أهل الحل والعقد. وهناك المأثور "النبي قبل الهدية".

أما إخراج الجن فإنه لا يتم في الإطار التصالحي التفاوضي الساعي إلى تهدأة الخلاف والمعايشة. إنه على النقيض تماما إنه يعرف العلة وبيت الداء. لا يتعايش مع الآخر بل يلفظه لفظ الجسد للعضو الغريب - إنه البتر والاستبعاد. التفوق والتسلط إنه الوعي بالذات والمعرفة بالآخر. (وكل هذا صحيح على زيفة الظاهري - انطلاقا من فشل التأويل لاستلاب المعرفة، كنهة العلة. ويأتي الموقف - الفعل بقدر الزيف. والآن ما هو نهج التأويل الثاني مع - الغيروي. قوام العلاج هنا "تعازيم" في أصلها نصوص قرآنية حرفت أما عن جهالة وأما قصد ان تلائم الحالة:

أنموذج:

١- أخرج أخرج مدحورا (الملبوسة هنا امرأة انتهى بها العصاب إلى شبه الشلل)
٢- أخرج أخرج منها
٣- ارفع يدك اليمنى
٤- ارفع يدك اليسرى
٥- استعد للخروج منها
٦- يا عدو الله
٧- يا سبب الأمراض العضوية
٨- الفشل الكلوي
٩- أخرج أخرج
١٠- بحق الله العظيم بحق من تجلى
١١- أخرج يا لعين (توظيف اللعن - الكلمة)
١٢- اقسم عليك بالله العظيم...

أنموذج ب:

ب/١ - خذوة فغلوه (سورة الحاقة آية ٣٠)
ب/٢- ثم في السلسلة سبعون ذراعا (الأصل: ثم في سلسلة ذراعها سبعون ذراعا فسلكوه)٣٢.
ب/٣- ان كان لا يؤمن بالله العظيم (الأصل: إنه ... آية ٣٣)

أنموذج ج:

ج/١- ان شجرة الزقوم طعام الأثيم فاخرج يا لعين (محرفة عن الصافات ٣٧ آية ٦٢)
الأصل: إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم
ج/٢- إلى سواء الجحيم
ج/٣- ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم
ج/٤- لهم شراب من حميم (الأنعام ٧٠ آية ٧٠)[١٧]

---

[١٦] بلاكمان ١٩٩٥: ٩٨. Westermarck 1926: 11; Lane 1978: 223 ff.

[١٧] عن القسر وإكراه الآلهة نفسها على الانصياع لرغبة الكاهن-الانسان وتقاليد ذلك في مصر القديمة انظر Budge 1979. تحريرا عن لفظ بعض الكلمات وأسماء بعينها بطريقة خاصة مع تكييف طبقات الصوت لتحقيق الشفاء ولاقتلاع الجني الروح.

يقوم الشيخ بالقاء الآيات المذكورة وفق قواعد تجعل وقعها وجرسها بالغ التأثير رافعا وخافضا من طبقات صوته حسب المقام وموقع الكلمة متوجها بها إلى مريض بعينه أو مريضة بحضور الآخرين. وعندما يبدأ (العفريت) المتقمص للانسان في الاستجابة للاوامر ٢-٣، ٩-٤، فإن صياحا هستيريا يسود المكان وتُطلق الهتافات من كل حنجرة ثم يهمد الجميع وقد تبللوا بعرقهم.

الجذور: لا تظن أن هناك من لم يسمع بالأصول التي تقوم عليها الممارسة السابقة فما من قرية مصرية تخلو - في زمان ما - من انسان يستلب العقل منه فيروح في هياج مؤذ لنفس وللآخر ولا يلبث أولو الأمر ان يتخذوا القرار بدعوة الشيخ فلان من ناحية كذا لتخليص صاحبنا من واحد من العمار أو واحدة - ولقد شهدت بعيني رأسي "شيخ تلوانه" الشيخ راشد. (كان كفيف البصر، متزوجا من أربع نساء وحسب زعم أقراني وقتها فان النسوة من زوجاته كانت خبيرة في اقتناص كل المعلومات عن رائدات الشيخ وزبائنه باندساسهن بينهن وكأنهن من طلاب الحاجات أيضا ولقد سهل هذا من دعم شهرة الشيخ خاصة في مسائل العرافة.

ومن سرق أوزة من!؟ وأين الغائب؟ ومساعدة المحرومة من نعمة الخلف... الخ... وهؤلاء كن قادرات على إثبات خصوبتهن بفعل "صوفة" كان يطلب منهن لبسها - في الرحم - طبعا وكانت الصوفة قطعة من قطن مندوف، ندية ودافئة، تقدم إليهن في القاعة المظلمة "ككحل العين". وكانت القرية منقسمة على نفسها بخصوص موضوع الصوفة هذا وكان البعض لا يتورع عن النيل من رجولة أزواج هؤلاء.

كان الشيخ ينتقل بركب من الحمير إلى القرى المجاورة - وفي الخمسينات كان علية القوم يقصدونه من قبلى وبحرى. فكان يقف على حواف السواقي ويعزم وبعدها يخرج الغطاسون بجثث الفرقى أو القتلى، يقال ان القاتل كان يلجأ إليه طلبا لكتمانه. ولقد أمر بإطفاء "مصباح الجاز" في القاعة فاستحالت قطعة من الليل. وبدأ الشيخ راشد في تعازيمه. وإذا بالهرج والمرج يسود المكان لنعرف أن جيشا من أهل العفاريت قد وصلوا. وبدأ محمد المسكين، وكان يكبرنا ببضع سنين كان في السابعة عشرة، فانقطع عن المدرسة وعنا. بدا يشكل خطرا على نفسه ومصالح أهله. بدا محمد المقيد اليدين إلى ظهره ذاهلا بفعل الزحام الذي سد المنافذ وبدا يائسا كأشد ما يكون.

بعد تعازيم طويلة مسجوعة موقعة ومؤداة على مستوى احترافي تبدي عفريت محمد - وكان مناكفا وعنيدا وزعم أن محمد قد تبول على عتبة الزريبة عند العشاء ملحقا أذى بالغا بالصغار من ابنائه، وانه لن يهدأ له بال إلا بالقضاء على الجاني، وراح الشيخ يهدده بالسجن، عبثا ولما توعده بالحرق الفوري صغر للأمر وبدا مستعدا للتفاوض. تمحكا فحسب، وزعم أنه سيخرج من جسد محمد ذاهبا ببصره - أي من عينه. واستشاط الشيخ راشد غضبا وراح يبرطم خذوة فغلوه ... شهاب ساقط ... وأشياء من هذا القبيل وبعد لجاج وأخذ ورد راح يعرض خروجه من يمناه فيزجره الشيخ، فيسراه فيهدده بالويل والثبور وبعد استيفاء كل الأماكن والمواضع المؤهلة للخروج وهي عاده نهاية الأطراف والفتحات قرر أن يخرج - بعد أن قام الشيخ راشد واشياعة بضرب محمد ضربا موجعا على أنه العفريت - قرر أن يخرج من الأصبع الصغرى لقدم محمد اليسرى. وساد صمت مترقب موحش وران على الجميع التوجس المتوتر وأشعل المصباح وأحدقت العيون بمحمد. كان أشبه بكلب نافق ملقى في ركن من "البحراية" (الجزء المنخفض من القاعة والواقع أمام الفرن) وكان أصبح رجله اليسرى مهشمة وظفرها منزوعا. وثمة من يزعم أن محمد ضرب على أعصابه فاستكان ذاهلا عن الدنيا حتى قضى أمره[١٨].

---

[١٨] أوردت وينفريد بلاكمان وقائع مثيلة جرت في مطلع القرن. انظر الفصل الرابع عشر من كتابها وخاصة الصفحات ١٨٣ وما بعدها.

أن ما يجري في المسجد هذا معناه الحقيقي هو قيام مؤسسة - بالمعنى الحرفي - هدفها إخراج الجن. وهنا تكمن الأهمية الخطيرة للموضوع حقا - وليس الخطر في الأمر ذاته. ولكن هو ان قطاعا عريضا من عامة الناس يكابد مكابدة أليمة وأن هذا القطاع يكبر يوما بعد يوم والأزمة تزداد استفحالا.

ورأينا أن الأحداث التي جرت في العقود الخمسة الأخيرة ذات صلة بالظاهرة. ولست أبغي هنا إلا طرحا غير متكلف للأمور، فالعمار بصنوفهم هم برأي الآخر(وي) - الشبيه اللامرئي - المتربص بكل هفوة مكيلا الصاع صاعين. المحب الغيور، الساعي إلى السيطرة والامتلاك. وكل شعوب الأرض بحاجة إلى الآخر. (عندما انتهت الحروب الصليبية خرج الاسبان يفتشون حتى وجدوا الهنود الحمر)

والمثير أن المصريين القدامي لم يذهبوا لأبعد من سوريا وفلسطين بحثا عن الآخر. بينما وصل العرب في القرن الثامن إلى الأندلس - ليس بالدعوة فقط لكن بالوجود. فلقد كانوا أكثر تعطشا للآخر من الآخر تعطشا إليهم، فما كان عندهم لأحد حاجة. بعكس المصريين فان الآخر كان يبحث عنهم - وما زال - هكسوس، إغريق، فرس، رومان، ترك، عرب ثم الإسرائيليون. وآخرون بدرجة أقل صليبيون، فرنسيون، انجليز. والفرق هو أننا خبرنا حلول الآخر بنا، غيرنا الديانة مرتين وكذا اللغة. لقد حل بنا الآخر. والحاجة لإخراجه قسرا باتت ملحة تماما. والمشكلة أننا لا نجد وثائق تكشف عن روح الشعب في أوقات الأزمات الطاحنة. في زمان الهكسوس وغيرهم. ولكننا نعرف - مع استلاب الأجهزة المؤسساتية - للمعلومات، وحرمان الناس منها - نعرف ما يجري وجرى في الستين سنة الأخيرة ولو بالحدس - لغياب الحقيقي. ان ما جرى يمكن تلخيصه في المعادلة: الفعل ←→ النقيض الفعل المحبط، وتفسير المعادلة أن كل فعل قام على أساس من غياب المعرفة - المعلومية - انتهى إلى النقيض تماما - كانت بينولوبي تنقض غزلها في الصباح. ولكنها كانت عارفة باهدافها - كانت بحاجة إلى عنصر الزمان. أما نحن فقد كنا ننقض غزلنا غير واعين لا بالمغزل ولا بالكتان.

حدث في أوائل الأربعينات - الهزيمة وضياع فلسطين - ١٩٥٢ - إلغاء الملكية وقيام أخرى، مجئ ملوك. إصلاح زراعي ←→ تفتيت رقعة الأرض الزراعية، مجانية التعليم ←→ خصوصية التعليم (دروس خصوصية - جهالة التعليم) التعليم للقادرين، البحث عن الآخر ←→ الوحدة ←→ الانفصال، العجز ←→ حلول الأخر. في ٦٧ ←→ ٧٣ الفعل الجزئي ←→ رضوة الكيلو ١٠١ ←→ رضوة كبيرة بقنديل. حلول الأخر التام - وحل الآخر بالجيران كل الجيران وفلسطين أخرى تأتيكم من شمال بغداد.

إن الناس - في غياب الوعي المؤسس على المعرفة - قد أنهكهم الآخر البحث عن البديل، وأدركوا أن المصالحة لم تعد تجد فتيلا وبات القسر هو الفعل الوحيد - وهو على سذاجته رغبة في الفعل، وخطورته أنه يستبق الفعل الحقيقي فيجهضه.

إن إخراج الجن - المؤسساتي - هذا هو تجسيد يائس للضمير المصري الباحث عن مخرج من هذا الجني الملتبس في الجسد الاجتماعي. لقد ظللنا في الستينات نزعم أن اسرائيل ربيبة أمريكا، ثم جاء من يقول اننا لا قبل لنا بأمريكا. وقبلها كان هناك من يقرع الطاولة أمام كل أنظار العالم قائلا: نحن أكبر قوة ضربة في الشرق الأوسط. وإذا بعدو الأمس مكرما في الدار. وعاد الناس - المحرومين من المعلومات عما يجري يرون ما جرى. لقد كان الآخر تحديا عظيما - وكنا بحاجة إليه، وها هو قد التبسنا. وتصبح ساحة المسجد هي قصر "عم هاملت". والشيخ والمرضى هم الفرقة المسرحية الجائلة تسعي لإزاحة الستار عن الوقائع التي جرت.

إننا إذا نحينا جانبا الخصوبة باعتبارها جوهر البقاء الانساني فإن شاغل، هاجس الانسان الروحي - الذهني حقا كان وما زال الاتصال قصد تأويل العالم، وتغيره. ورأينا أن الاتصال يتم على محورين أولها أفقي وطرفاه هما الانسان - الانسان الآخر، وأداه الاتصال هذا الفذة هي اللغة. أما الاتصال الثاني، فرأسي قطبه الانسان والقطب الثاني هو البيئة - المحيط، كوكبنا بكل ما عليه

الكون. والهدف في الحاليين هو اكتشاف الآخر - التأويل. قصد التأثير فيه أن هذا الاتصال هو أعظم انجازات بنى الانسان وهو أكثر المسارب وعورة - انه المعرفة بنفسها.

ومنذ فجر البشرية والانسان لا يألوا جهدا في استنباط أساليب وتقنيات اتصال ظلت رهينة الصدفة والعشوائية وبنت اللحظة حتى انفصل العلم عن الدين والسحر.

قبل هذا الانفصال تصدى بشر متميزون لمهام الاتصال الذي كان جنينيا وملتبسا كنتيجة لتصورات زائفة عن الآخر، والذي - أي الآخر - ما كان ليكون الا شبيها ومثيلا للانسان ذاته. ذلك أن الانسان - بلغته وعقليته - لا يستطيع التفكير فيما يتجاوز آفاق اللغة. ولذلك فانه مهما ارتقى بالفعل واللغة فان آلهة بعض الشعوب تتسم بالجبروت والقوة وبعضها الآخر يتسم بالجلال والرحمة. فهناك آلهة البرق والرعد البراكين والطوفانات. وهناك آلهة للصيد وللحب والموت آلخ. ىهناك مارس وجوبتر وياهوا وسكة التبانة، الزهري وعطارد وزحل وإلى ما لا نهاية. والقضية هي انه بانفصال العلمي عن الديني لم يتحرر العقل بعد. فطفل المدرسة الأروبية يعرف اشتراطات سقوط المطر. ولكنه يفسر ذلك بان الاله يبكي. ونحن نخرج بالطبول والدفوف - في المصر - عند خسوف القمر لنغني يا بنات الحور، سيبوا القمر، الا القمر مسحور... ألخ. رغم أنه وفي اليوم السابق كان مدرس الجغرافية قد بذل قصاري جهده لنفهم ظاهرة الخسوف والكسوف... عبثا. ويبدو أن علة استلاب المعرفة يرجع في بعض أسبابه للانسان نفسه وليس دوما لان بعض الكيانات المؤسساتية - تسعي واعية لسلب الآخرين المعرفة لتبقى أجهزة الهيمنة في أيديها. أن الأسطورة وهي تأول الوجود تشبع (العادي) وتضفي على الكون صفة (آدمية) ترى ما قيمة حياتنا هذه - في نظر الأغلبية دون البعث والثواب والعقاب؟

"ويكاد يكون من المستحيل أن نفرق بأي درجة من التأكيد بين الأعمال السحرية وطقوس الديانة. ويبدو أن بعض الأعمال السحرية تتعلق بطقوس ديانة آبدة. أو جر عليها النسيان أذياله والبعض الآخر يرجع إلى سوء الفهم قوانين الطبيعة على حين أن بقية منها يمكن نسبته إلى خيال عقول غير مدربة. التنبؤ - تأويل العلامات - بإحداث المستقبل ولو أنه يوسم في أيامنا بالسحر إلا أنه كان في الأصل محاولة لكشف إدارة الله حتى يتسنى العمل بما يتطابق وبهذا الإدارة. ونفس كلمة عرافة وكهانة تحمل في طياتها المعنى الأصلي الديني الذي ترجع إليه" (مري ١٩٥٧: ٣٠٤).

ولا جدال في ان مصر هي مهد السحر والدين ومفهوم الأبدية والبعث والنشور والميزان: محكمة أوزوريس، والسراط. بل ان مقتل الألة وبعثه - المسيحي - هو حرفيا مقتل أوزوريس "الاله" ثم بعثه سيدا للآخره.

كما "وأهم مراكز عبادة أوزريس كانت في أبيدوس في الجنوب، وبوسيريس (أبو صير) في الشمال، واختلاف الطقوس يرينا أنهم كانوا يعطون أهمية في أبيدوس لموت الاله، أما في أبي صير فقد كانت الأهمية تقع على البعث"[١٩].

ولسنا نبغي حرمان شعوب من معتقداتها، بزعم أن المصريين قد استبقوا كل الشعوب إلى تأسيس الدين والباقي هو تنويعات توفيقية ليس الا فلقد كانت أزيس تسمى "هي صاحبة العرش" وكان لها مظاهر بلغ من كثرتها انها عرفت بذات "العشرة آلاف اسم"! على ان أهم القابها كان "أم الاله، سيدة السماء"[٢٠].

"وهي وحدها كانت تعرف الاسم السري لوع. ولقد كفلت لها هذه المعرفة اخضاع كل شيء لها"[٢١]. ان هذا هو أصل الاعتقاد في قوة الكلمة الذي أصبح أصل الخلق في كثير من الديانات.

---

[١٩] المرجع السابق، ص: ٢٣٥.

[٢٠] المرجع السابق، ص: ٢٣٦.

[٢١] المرجع السابق، نفس الموضع.

وهذا ما يعنينا - في إخراج الجن بفعل الكلمة. وبهذه الكلمة أعادت أزيس الحياة إلى أوزوريس. وصحيح ما ذهب إليه لويس عوض (١٩٩٣) من أن الفعل أمن ومشتقاته "أمين، أمان، إيمان، آمنط آمنة ... الخ". جاء من آمون. فلا غرابة أبدا في ان تزدهر معابد مصرية بكهنتها وتبعث من جديد في أوقات - بدا فيها وان طبقات من الناس تعاني من شرخ موجع.

وإذ كما نعرض للتأويل فلقد عرفت مصر طرقا كثيرة للعرافة أهمها للأحلام وكان تأويلها يدرس في المعابد. وخاصة في هليوبوليس حيث كان الكاهن الأعظم يتخذ لقب الناظر الأعظم واشتهر "يوسف" باعتباره أكبر المؤولين للأحلام، وهكذا تزوج بابنة أحد كبار الكهنة بعد ان ارتفع إلى المرتبة العليا بتفسيره للأحلام الملكية. "وعلمتني من تأويل الأحاديث ... من أنباء الغيب نوحية إليك" سورة يوسف (١٠١-١٠٢). وما أشبه الليلة بالبارحة وشيوخ اليوم، وكهان الأمس ومن حقنا أن نفترض أن بعض التأويلات إنما ظهرت بعد وقائع بعينها تأويلا لهذه الوقائع ذاتها. ويمكننا التسليم بأن شخصيات دينية (تاريخية) كانت ملهمة بالفعل. فإن إبراهيم ونبوءته وتأويله قد خلص الساميين من عادة بالغة الفظاعة - التضحية بالابن - وما زال صدى هذا الخلاص العظيم حيا في أعياد الأضحى".

ورغم أن فيضان النيل لم يعد "لغزا مقدسا". ولم يعد فيضانة معجزة فإن الاحتفالات بوفائه كانت دوما "قضية" الشعب والدولة. واستبدلت الأضحيات "عروسة النيل" - ترجمة عربية - بدمية. أي أن رموز عبادته ما زالت باقية.

وثمة واقعة جرى إغفالها طويلا ولم يتبين أحد عميق دلالاتها؛ إلا وهي رسالة ثاني الخلفاء عمر إلى النيل! لقد زعم "المقريزي" ان فيضان النيل قد انقطع بانقطاع تقديم الأضحيات بناء على أوامر وإلى مصر وقتها "عمرو" ومن ثم فقد تأخر الفيضان ثلاثة شيور وقلق الشعب قلقا عظيما خشية الجدب ولجأ بن العاص إلى الخليفة مستشيرا وما لبث الأخير ان ارسل برقعته: "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر. أما بعد: فإن كنت تجري من قبلك، فلا تجر. وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك." ويزعمون ان مياه النهر قرتفعت ستة عشر ذراعا في الليلة التالية. واغلب الظن ان "الواقعة" والتأويل انتحال جرى فيما بعد. فمؤلفها أو مؤلفوها كانوا ضحية عهد التحولات من تعدد الاله "المصري" إلى التحول الإيمان باله واحد لا شريك له. ان الرقعة المدعاه بشفرتها ونهجها مؤطرة على نهج الدواوين - ومؤلفها يسعي جاهدا لصياغها على منوال رسالة النبي إلى المقسوس حاكم مصر. ويزعمون ان الرقعة أياها قد القيت في النيل، ولا تشير المصادر إلى إذا ما كانت القيت تلاوة أم لا. وبصرف النظر كليا عن وقوع المدعي من عدمه. فانه يشير إلى الحاجة الملحة للتأويل والاتصال ويشبع هذه الحاجة بالفعل ويوحي إيحاء إلى نجاح الاتصال وإلى ان مسيرة الحياة - النيل - رهن التحكم وان رأس الدولة وهو ديني وزعيم آخذ على عاتقة مهام الاتصال.

حسب المعطيات الانثروبولجية فإننا نجمل - وبالضرورة - بشيء من التبسيط وسائل الاتصال الانساني بالعالم الرأسي - الكون - في ثلاث طرق:

١- تقديم القرابين والأضحيات ونذر النذور... الخ قصد تهدأة آلهة غضبي متعطشة للدماء (رضوة • أضحية إبراهيم. الفداء)

٢- النفاق والتزلف التقرب إلى الآلهة بالادعية والتضرعات والابتهالات والأناشيد والصلوات، وحتى بالرقص والغناء.

٣- قسر الآلهة وارغامها على تحقيق رغبات الانسان بتهديدها. وثمة انموذج من الاسرة العشرين، يستهل بالسلام على (رع) رب. والحتحورات السبع وينتهي بالتهديد بحرق مدينة "يوسيريس" بل واحراق أوزوريس نفسه[٢٢].

والمجهولية هذه ملمح رئيسي في الاتصال بالعمار. فالأخر الخصم العلة جني، نوع: دون ما تخصيص. ولما كانت دنيا العمار المثيل للأمرائي لدنيا البشر فان تحديد هوية هذا الذي انكفأت عليه المأة دونه خرط القتاد. وهكذا فان جميع العمار يدعوون إلى الرضوة إرضاء الكل توصلا إلى الواحد.

ونحن هنا مدركين للفرق بين الزار والرضوة فالتعرف على العفريت في الزار قصد إشباع حاجاته، نقطة البدء - ومع الزيف الكامل للمعلومية في تحديد هوية العلة منطلق عقلاني. (يتطلب من الكودية، عريفة السكة وشيخة الزار مهارة وذكاء وحذقا) ذلك انه مرتهن بالظروف المادية والاجتاماعية - للعصابية - ولسنا نبغي المقارنة هنا بين الزار والرضوة فالقارئ المختص أدري بهذه الشعاب - ولكن الرضوة ذات أصل فرعوني وهي تريد العودة بالغربال إلى أصله الطبلية - المائدة - القربان - أما الزار الآتي إلى مصر مع عبيد قصر الخديوي فاساس الرقص (إشباع) صاحب الجان مباشرة.

بينما يكون التعرف على (عفريت الزار) وتحديد طبيعته وبالتالي مطالبة الفعل الأول في الممارسة فإن الرضوة تهمل ذلك إهمالا بالتعيم وتسع إلى تهدئه خاطر الجماعة بأكملها - والفرد المعني ضمن المجموع. وإذا طبقنا المعايير والمواقف والتواضعات الاجتماعية على حالتينا هاتين فالزار على زيفة وخلوة من المعرفي يطبق مبدأ "اعرف عدوك"، "يوصفه" وهو هنا - باستعارات ما قبل التوحيدية - إله تقدم إليه أضحيات حيوانية والأدهى من ذلك "عروس" قربان بشري - تجردا تنازليا ورموزيا ليصبح "عروسة الزار". بمعنى احتفاظ الممارسة بسيرورتها في الاسم واعرف عدوك - مقولة طال شيوعها - مع احتدام الصراع العربي الاسرائيلي ما قبل وبعد الستينات.

إذا درسنا رقصات الزار ولو حدث ذلك كما يجب لا مكنا اضاءة العديد من الجوانب المعتمة حتى الآن في طبيعة الزار ووظيفته وما أحسب هذا الرقص إلا رقصا دينيا صحبة تقديم قرابيين دموية، اما الرضوة فهي احياء لمأثور بالغ القدم تقدم على افتراض أن العالم ثنائي القطبين توأم أحدهما غير منظور، ويعد مفهوم القرينة أصدق تمثيل له. ورغم المثيلة فان الغير مرئي هو المثلي والأخرى في آن مرئي - لا مرئي: الاستلاب المعرفي - قضيتنا - يبدأ من ثنائية الأضداد والخير والشر، الليل والنهار، الأسود والأبيض. ولا أظن أن في مصر كلها، ولا حتى في العالم بأسره من لا يعاني بقدر ما من الاستلاب المعرفي بسبب ظواهر نعرف علتها (الليل والنهار) ولكن جسامة الأرث الانساني لا تدع أبدا لقوانين العلة والمعلول فرصة تصدر مكانتها الحقيقية - في العقل. وثمة أمثولة هي برأينا أعظم تجريد لأزمة استلاب المعرفي ولا بد ان مبتدعها هو عقل عربي جدلي بالغ حد العبقرية وعلى وعي تام بالأزمة

إنه حجا الذاهب إلى السوق جنيهات في جيبه؛ يريد شراء حمارا ويلقاه جاره فيسأله "إلى أين؟" إلى السوق ١٠ خيرا .. لم؟ اشترى حمارا ويوصيه الرجل قائلا "قل إن شاء الله!" ويندهش جحا. فالجنيهات في جيبه. والحمير في السوق. وتسرق الجنيهات. ويرجع جحا آسفا ليلتقيه صاحبه الغيبي. "أين الحمار يا جحا؟ فيرد: إن شاء الله الفلوس ضاعت!!

إن الفاجع ليس سرقة النقود إنما هو ما آل إليه عقل جحا، لقد استلب العقل، وأصبح غيبيا. لقد تعلم أسوأ الدروس طرا.

---

[٢٢] وهذا بالضبط ما يجري رغم آلاف السنين وما أشبه الليلة بالبارحة.

إن شاء الله + فعل ماض = عبث. إنه الفشل في الاضطلاع بمهمة توفرت كل أسباب نجاحها. وإنه لمن السخف واحتقار الوعي والعمل إلى أحط درجة الزعم بأن أمة خسرت لأنها لم تقتل ... إن شاء الله. إننا أمام إذا الشرطية وليس أمام "إن"!

المراجع

إدريس، يوسف. ١٩٦٩. النداهة. روايات الهلال. القاهرة.

بلاكمان، وينفريد. ١٩٩٥. الناس في صعيد مصر. ترجمة أحمد محمود. القاهرة: دار العين.

الجاحظ، كتاب الحيوان. بيروت ١٩٨٦.

حواس، عبد الحميد وصابر العادلي. ١٩٧٠. "ملاحظات حول بعض الظواهر الفولكلورية في إقليم البحيرة". مجلة الفنون الشعبية ١٣، ٧٢-٨٠.

عبد القوي، شوقي. ١٩٩٤. السبوع. *The Arabist* 9-10.159-193

العادلي، صابر. ١٩٩٤. "غولة سيوه". *The Arabist* 9-10.195-208

عوض، لويس. ١٩٩٣. مقدمة في فقه اللغة العربية. القاهرة.

مري، مرجريت. ١٩٥٧. مصر ومجدها الغابر. ترجمة محرم كمال. القاهرة.

Budge, E. A. W. 1979. *Egyptian Magic.* London: Routledge & Kegan Paul.

El-Adly, Saber. 1981. *Az amulett a mai Egyiptomban.* Budapest. [التمائم في مصر المعاصرة]

Hammond, B. 1975. *Cultural and Social Anthropology.* London.

Kriss, R. & H. Kriss. 1962. *Volksglaube im Bereich des Islam.* Vol. II. *Amulette, Zauberformeln und Beschwörungen.* Wiesbaden.

Lane, Edward W. 1978. *The Manners and Customs of Modern Egyptians.* London.

Westermarck, E. 1926. *Ritual and Belief in Morocco.* London.